

الألقاب والكنى

وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف

بغرب الجزيرة العربية عبر العصور

الدكتورة:

نعيمة بنت عبد الله بن دهيش*

لمقدمة:

لقد كرم الإسلام الإنسان الكادح، ورفع شأنه: فالإسلام يرى أن العمل ضرب من العبادة، ولذلك اختصه بالتمجيد ودعا إليه، فقال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ"^(١)، وقال: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ"^(٢)، وعن المقدم بن معد يكرب الزبيدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة"^(٣).

-
- * بكالوريوس تاريخ من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.
- ماجستير من قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية من الكلية والجامعة نفسها عام ١٤٠٧هـ.
 - دكتوراه عام ١٤٢٠هـ.
 - تعمل الآن أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ والحضارة بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب، ج ٢، ص ٧٢٣، حديث رقم ٢١٣٧.

ولم يفرق الإسلام بين أنواع العمل فكلها تتمتع باحترام، خاصة إذا كان بعيداً عن المحرمات، فللمسلم أن يكتسب قوته وقوت من يعول عن طريق ممارسة أي مهنة أو حرفة أو صنعة شريفة، أو من تجارة أو زراعة أو أي وظيفة من الوظائف، ما دامت لا تقوم على حرام، ولا تقتزن بحرام.

ولا ينبغي للمسلم تحقير بعض المهن والأعمال، فقد نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ذلك، كما علم أصحابه رضوان الله عليهم أن الكرامة كل الكرامة في العمل، وأن الهوان والفضة في الاعتماد على معونة الآخرين.

فعيش المرء عالة على سعي غيره هو الذي يستوجب وحده الاحتقار، ومن أدلة تمجيد الإسلام للعمل أن الرسول نفسه اشتغل في بدء حياته بالرعي، كما اشتغل بالتجارة. قال صلى الله عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"^(١).

فالعامل والإنتاج يرتقيان في نظر الإسلام إلى مستوى التعبد، بل مستوى الجهاد في سبيل الله حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العمل و السعي في طلب الرزق على الانقطاع إلى العبادة.

كما اعتبر الإسلام أن العمل نعمة تقتضي الشكر عليها ومن ثم الحفاظ عليها فيقول تعالى: "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ"^(٢)، هذه هي منزلة العمل في الإسلام.

ولقد كان للناس في منطقة الحجاز حرف ومهن مختلفة تسد حاجاتهم ومتطلباتهم في مختلف شؤون حياتهم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١/١٦٧.

(٢) سورة يس، الآية: ٣٥.

وقد تصديت لهذا البحث لأبين مدى العلاقة بين ممارسة تلك المهن والحرف، التي كانت تمارس، وبين ألقاب وكفى بعض الأسر القاطنة بمنطقة الحجاز.

وبينت خلال دراستي هذه نظرة العرب - خاصة في جاهليتهم - إلى تلك المهن، وكيف كان يلاقي بعضها التحقير والاستهانة، وقد علمنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أن نغير وجهتنا ونظرتنا إلى تلك المهن، والنظر إلى كل من يعمل بكده وعرق جبينه بالتقدير والاحترام، والله المستعان، وعليه التكلان..

الفصل الأول: أهمية العمل اليدوي وأهمية استثمار الوقت: الصنعة في اللغة:

هي حرفة الصانع وعمله، فيقال: امرأة صناع اليدين: أي حاذقة وماهرة بعمل اليدين، ورجل صنيع اليدين: أي صانع حاذق^(١)، قال الله تعالى: "صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ"^(٢). وقيل: إن الصنع إجادة الفعل، وهو الفعل الصادر عن الإنسان، والصناعة: هي حرفة الصانع، وعمله يسمى: الصنعة^(٣).

المهنة في اللغة:

المهنة هي: الحذق بالخدمة، والعمل ونحوه، وقد مهن يمهّن مهناً: إذا عمل في صنعته^(٤) وفي الحديث، عن يحيى بن سعيد أنه سأل عمرة عن الغسل يوم الجمعة فقالت: قالت عائشة رضي الله عنها:

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ١٢٤٥/٣؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط٢ - بيروت: دار العلم للملايين. وابن منظور الأفرقي. لسان العرب ٥٠٨/٤.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٣) لسان العرب: ٢٥٠٨/٤، والصحاح: ١٢٤٥/٣.

(٤) لسان العرب: ٤٢٩٠/٦.

"كان الناس مهنة أنفسهم، وكانوا إذا راحوا إلى الجمعة راحوا في هيئتهم، فقليل لهم لو اغتسلتم"^(١).

والمهنة تعني العمل، امتهن الرجل ومهن: عمل في صناعته، وامتهن : اتخذ مهنة، والمهنة: العمل يحتاج إلى خبرة ومهارة وحذق في ممارسته.

عن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت: "كان يكون في مهنة أهله تعني خدمة أهله فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة"^(٢).

الحرفة في اللغة:

الحرفة مأخوذة من تنمية المال، يقال جاء فلان بالإحراف إذا جاء بالمال الكثير، وفلان يحرف لعياله أي يكسب بعمله من ههنا وههنا^(٣).

ويقال حَرَفَ لأهله واحترف، أي كسب وطلب، والحرفة: جهة الكسب ومصدره، وهي الصنعة التي يرتزق منها^(٤).

والحرفة: الطعمة، والصناعة التي يرتزق منها، وهي جهة الكسب^(٥)، وكل ما يشتغل به الإنسان

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب وقت الجمعة إذا زالت الشمس: ٣٠٧/١ حديث رقم ٦٨١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج: ٢٣٩/١ حديث رقم: ٦٤٤.

(٣) الصحاح: ١٣٤٢/٤.

(٤) لسان العرب: ٨٣٩/٢.

(٥) محمد مرتضي بن محمد الواسطي الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس؛ تحقيق: إبراهيم التريزى. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ٢٣، ص ١٣٣.

أهمية العمل اليدوي:

كانت العرب قبل الإسلام تحتقر بعض الحرف والمهن، وتحتقر من يمتنعها، ومن هذه المهن: مهنة الحدادة، حيث كانوا يطلقون على من يقوم بها "القن" والتي تعني في اللغة: العبد الرقيق، وكان أصحاب هذه المهن يشكلون طبقة وضعية في المجتمع الجاهلي في منطقة الحجاز، فلا يزوجهم، ولا يتزوجون منهم، كما كانوا يأنفون من مخالطتهم والتحدث إليهم.

فكانت بزعمهم يعتقدون أنها حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين في الأرض، وقد يكون سبب عزوفهم عن بعض المهن والحرف اعتقادهم بأنها مقيدة لحريتهم وحركتهم، وهم من تعودوا على الحركة والأسفار والترحل والانتقال من مكان إلى مكان بحثاً عن الكلاء، فالعرب لا تأنف من العمل في التجارة، والرعي، والغزل والنسيج الذي كان منتشرًا في حاضرة العرب وباديتها، كما كانت البادية تحتقر أيضاً مهنة الزراعة دون الحضرة الذين لا يرون بأساً من العمل بها.

ثم جاء الإسلام ليؤكد مشروعية العمل، وحاجة الإنسان إليه دون تفضيل عمل على الآخر، وإنما الأصل في مشروعية العمل هو العمل الذي يحقق الكسب الحلال، وقد حث الإسلام على السعي والانتشار في الأرض، وابتغاء الرزق الحلال فيها.

لقد أعطى الإسلام كل فرد الحق في أن يزاوِل أي عمل مشروع يناسبه، وتكون لديه القدرة على القيام به، والعمل الصالح يدر على الإنسان أفضل المكاسب في مختلف أنواع التجارة والزراعة والصناعة

(١) محمد بن يعقوب الشيرازي، الفيروز آبادي. القاموس المحيط. - بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ / ١٤١٥م، ج ٣، ص ١٣١.

وسائر الحرف المشروعة التي تعود عليه بالرزق الحلال فتحميه مكاسبه من ذل السؤال^(١).

حتى في يوم عيد المسلمين الأسبوعي يوم الجمعة أذن الإسلام لهم بالبيع والشراء عقب انتهاء الصلاة: قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"^(٢).

وفي الحج ومواسمه أجاز الإسلام أيضاً للمسلم أن يزاول أعمال التجارة والعمل، حتى وهو في لباس الإحرام، وذلك بقوله عز وجل: "لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ"^(٣).

وبالعمل يعمر الكون، وتقضى حوائج الناس، فقد بينت الشريعة الإسلامية الغراء مدى احترام العمل اليدوي، وأن كل من ينتسب إليه ويؤديه يجد الاحترام والتقدير، وأكدت على أن من يمارسه لا يتعرض إلى أي مهانة، بل هي مدعاة للفخر والاعتزاز لكونه يترزق بصنع يده.

قال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"^(٤).

كما يؤيد ذلك ما ورد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاماً قط، خيراً

(١) عبد العزيز محمد سندي. الأحكام في حقوق الإنسان في الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٢١٧.

(٢) سورة الجمعة، الآيتان: ٩، ١٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٥.

من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده^(١)."

هذا هو مبدأ الإسلام: فإن الأرض قد هيأها الله وسخرها ذلولاً للإنسان، فينبغي أن ينتفع بهذه النعمة،

ويسعى في جوانبها مبتغياً من فضل الله.

ولا يحل للمسلم أن يكسل عن طلب رزقه، باسم التفرغ للعبادة، أو التوكل على الله، فإن السماء

لا تمطر ذهباً ولا فضة^(٢).

والقيام بحق العيال بكسب الحلال أفضل من العبادات البدنية، ولكن ينبغي مع ذلك أن لا ينفك

عن ذكر الله تعالى ولو بقلبه، كان أبو الحسن يعمل بالمسحاة دائماً ويقول أعطينا اليد للعمل، واللسان

للخلق، والقلب للحق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من الذنوب ذنباً لا

يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة" قالوا فما يكفرها يا رسول الله قال: "الهموم في طلب

المعيشة"^(٣). وقال صلى الله عليه وسلم: "طلب الحلال فريضة بعد الفريضة"^(٤). وقال عليه السلام:

"طلب الحلال واجب على كل مسلم"^(٥). وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم: "طلب الحلال جهاد"^(٦).

وعن محمد بن قدامة قال: حدثنا شاذان قال: سألت الحسن بن يحيى عن شيء من أمر المكاسب فقال:

إن نظرت في هذا حرم عليك ماء الفرات، ثم قال: قال الحسن يعني البصري: طلب الحلال أشد من لقاء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمل يده. ٧٣٠/٢، حديث رقم ١٩٦٦.

(٢) يوسف القرضاوي. الحلال والحرام في الإسلام. ط٢. - دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، ص ٨٩.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم ج ١ ص ٣٨.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم ج ١٠ ص ٧٤.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ج ٨ ص ٢٧٢.

(٦) أخرجه الشهاب في مسنده: ٨٣/١.

وحث الإسلام المسلمين على كسب العيش بالعمل اليدوي بالحلال، فكان الصحابة رضوان الله عليهم، وأفاضل الأمة يمتهنون أنفسهم ويسعون على عيالهم تعففاً وتواضعاً. قال إمام الحرمين الجويني: "لو ترك الناس المكاسب معولين على الاصطياد، لهلكوا وضاعوا واضطربوا وجاعوا"^(٢).

فهو بذلك يحث على طلب الرزق، ويدعو للإنتاج بعناصره المختلفة، إذ يشمل لفظ المكاسب: استثمار أي عنصر من عناصر الإنتاج المتوافرة لدى الإنسان، وبالأخص عنصر العمل، لكونه القاسم المشترك في غالب العمليات الإنتاجية.

فتأتي أهمية طلب الرزق والسعي فيه لما به من قوام الدين بإعانة المسلم على العبادة، وقوام الدنيا بإعمار الأرض وتحقيق استخلاف الإنسان فيها.

ويقول الإمام الشيباني: "إن المرء باكتساب ما لا بد له منه ينال من الدرجة أعلاها، وإنما ينال ذلك بإقامة الفريضة، ولأنه لا يتوصل إلى إقامة الفرض إلا به، فيكون فرضاً بمنزلة الطهارة لأداء الصلاة، وبيان من وجوه: أحدها أن يمكنه من أداء الفرائض بقوة بدنه، وإنما يحصل له ذلك بالقوت عادة، ولتحصيل القوت طرق: الاكتساب أو التغالب أو الانتهاب، وبالانتهاب يستوجب العقاب، وفي التغالب فساد، والله لا يحب الفساد، فتعين جهة الاكتساب لتحصيل القوت. وكذا لا يتوصل إلى أداء الصلاة إلا بستر العورة، وإنما يكون ذلك بثوب، ولا يحصل له إلا بالاكتساب عادة، وما لا يتأتى إقامة

(١) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي البغدادي . كتاب الورع؛ تحقيق محمد بن حمد الحمود. ط ١ - الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م / ج ١ ص ١١٧.

(٢) عبد الملك بن عبد الله، أبو المعالي الجويني. إمام الحرمين، غياث الأمم في التياث الظلم: تحقيق عبد العظيم الديب. - ط ١ - الدوحة: كلية الشريعة - جامعة قطر، ١٤٠٠هـ: فقرة ٤٠٢ ص ٢٨٣.

الفرض إلا به يكون فرضاً في نفسه^(١).

وقال ابن خلدون مؤكداً على أهمية العمل في قيام أمور الدنيا: "على الإنسان أن يسعى في المعاش والاعتماد في تحصيله من وجوهه، واكتساب أسبابه"^(٢).

ثم أضاف: "فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته"^(٣).

وبالعمل يكون الإنتاج، ويزداد بزيادته كماً وكيفاً، وفي سورة مريم يقول الله تبارك وتعالى مخاطباً مريم عليها السلام: "وَهَئِذَا إِلَيْكَ الْجِذْعُ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا"^(٤) فالله عز وجل قادر على رزقها وإطعامها، ولو لم تهر بيدها جذع النخلة، ولكن الله أمرها بذلك ليعلم عباده ألا يتركوا اكتساب الرزق وطلبه، وبذل الأسباب للحصول عليه بالعمل^(٥).

ولا ينبغي ترك العمل بحجة التوكل، عن صالح ابن الإمام أحمد بن حنبل أنه سأل أباه عن التوكل، فقال: التوكل حسن، ولكن ينبغي أن يكتسب ويعمل حتى يغني نفسه وعياله ولا يترك العمل، قال: وسئل أبي وأنا شاهد عن قوم لا يعملون ويقولون نحن المتوكلون، فقال: هؤلاء مبتدعون^(٦).

(١) محمد بن الحسن الشيباني. الاكتساب في الرزق المستطاب؛ تحقيق محمود عرنوس. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م، ص ٣٣، ٣٤.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون المغربي. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول المسمى ب (المقدمة). - ط ٢. - بيروت، لبنان: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٦١م، ص ٦٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) سورة مريم، الآية: ٢٥.

(٥) إبراهيم الطحاوي. الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً: دراسة مقارنة ١/٢٣٧.

(٦) عبد الرحمن جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي. تلييس إبليس. - مصر: إدارة الطباعة المنيرية، مكتبة الدعوة الإسلامية، ص ٢٨٤.

ولا يحل له الاعتماد على صدقة تمنح له، وهو يملك أسباب القوت ما يسعى به على نفسه، ويغني به أهله ومن يعول^(١).

عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله أو لعامل عليها أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فأهداها المسكين للغني"^(٢).

ومن أشد ما قاومه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحرمه على المسلم، أن يلجأ إلى سؤال الناس، فيريق ماء وجهه، ويخدش مروءته، وكرامته من غير ضرورة تلجئه إلى السؤال. فبذلك صان النبي صلى الله عليه وسلم للمسلم كرامته، وعوده التعفف، والاعتماد على النفس، والبعد عن تكفف الناس^(٣).

وينبغي للعمل والتكسب أن يكون الحصول على المال والأجر بطرق مشروعة خالية مما نهي الإسلام عن إنتاجه، أو العمل فيه، كصناعة الخمر، وتربية الخنازير، وصناعة الأصنام والتماثيل، أو ما قيد العمل وكسب الرزق به في منع الظلم والإضرار بالآخرين سواء بالغرر أو الغش أو الغبن أو الاحتكار وخلافها^(٤).

والعمل فرض على جميع أفراد المجتمع، فالناس تحتاج إلى مختلف المهن والأعمال، من بناء المساكن التي يسكنونها، ونسج الثياب التي يلبسونها، وزرع الأشجار التي يأكلون ثمارها، وإلى الفلاحة والحياكة

(١) يوسف القرضاوي. الحلال والحرام في الإسلام، ص ٨٩.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب من يجوز له أخذ الصدقة وهو غني، ج ٢ ص ١١٩ حديث رقم ١٦٣٥.

(٣) يوسف القرضاوي. الحلال والحرام في الإسلام، ص ٨٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٠١، وانظر: محمد عبد المنعم عفر. الاقتصاد الإسلامي - ط ١ - جدة: دار البيان العربي، ١٩٨٥ م: ٦٤/٣.

والخياطة والتطبيب، وإلى إقامة جميع الحرف والصنائع وما تتم به معاش العباد من بيع وشراء، وإلى ما لا بد منه لتحقيق مصالح الناس ودفع الضرر عنهم، ولهذا قال كثير من الفقهاء، إن العمل في أصول الصناعات التي يحتاج الناس إليها ولا تتم مصالح الناس ومعاشهم إلا بها، يعدُّ فرض كفاية على الجميع، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين، ويكفي غلبة الظن أن البعض فعله، بل إن القيام بها يعتبر فرضاً واجباً عند الحاجة إليها، وأن الكسب بقدر ما لا بد منه فريضة^(١).

ويجب على كل إنسان أن يعمل ويستثمر طاقاته وقدراته إلى أقصى حد في الأعمال التي تناسب ميوله ومواهبه، باختلاف الناس في مواهبهم وقدراتهم يعني أن كلا منهم قد خُلِقَ وخُلِقَ معه استعداداته للأعمال التي يستطيع مزاولتها والبروز فيها، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"^(٢) ولهذا فعلى المرء أن يتجه في مناحي الكسب والإنتاج إلى الوجهة التي تلائم طبيعته وقدراته ومواهبه^(٣).

فالعلاقة بين الزراعة والصناعات والحرف والمهن والمجتمع علاقة قوية، فهي مهد الرجال، وصقل لهم، فتقدم للمجتمع أشخاصاً أصحاب خبرات متخصصين.

فالخرف والصناعات ليست عملاً مباحاً في شريعة الإسلام فحسب، بل هي فرض كفاية في دين المسلمين، بمعنى أن الجماعة الإسلامية لا بد أن يتوافر في أهلها من كل ذي علم وحرفة وصناعة من يكفي حاجتها، ويقوم بشأنها.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية؛ جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز بإشراف: الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين: ١٩٤/٢٩.

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه الصحيح، باب ومن سورة الليل إذا يغشى ٤٤١/٥، حديث ٣٣٤٤.

(٣) عبد السميع المصري. مقومات العمل في الإسلام. ط١ - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٢هـ، ص ١٢.

فإذا حدث نقص في جانب من جوانب العلم أو الصناعة، ولم يوجد من يقوم به، أثمت الجماعة كلها، وبخاصة أولو الأمر، وأهل الحل والعقد فيها.

فكل صناعة أو حرفة تسد حاجة في المجتمع أو تجلب له نفعاً حقيقياً، فهي عمل صالح إذا نصح فيها وأتقنها كما أمره الإسلام^(١).

ويحق لكل مهني أو عامل أو حرفي أن يفتخر فبعض أنبياء الله، كانوا من العمال أصحاب المهن والحرف. فنبى الله داود عليه السلام^(٢) كان حداداً يصنع الدروع ويأكل من عمل يده.

وإدريس نبى الله عليه السلام^(٣) كان خياطاً وخطاطاً^(٤)، ونوح نبى الله عليه السلام^(٥) وزكريا نبى

(١) يوسف القرضاوي. الحلال والحرام، ص ٩٣.

(٢) نبى الله داود بن إيشا بن عويد بن عامر بن سلمون بن نحشون بن عوينادب بن إرم بن حصرون ابن فارض ابن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام، قال الله تعالى: "...وَأَلَكَّا لَهُ الْحَدِيدَ..." (سبأ: ١٠) قال الحسن البصري وقتادة والأعمش: كان الله قد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده ولا يحتاج إلى نار ولا مطرقة، وكان يعمل كل يوم درعاً ويبيعها بمئة ألف درهم، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وأن نبى الله داود كان يأكل من كسب يده" انظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ١٨/٢.

(٣) نبى الله إدريس بن اليارد بن مهلائيل بن قينان بن الطاهر بن هبه، وهو شيت بن آدم، وإنما قيل له إدريس؛ لأنه أول من درس الوحي المكتوب، وهو أول نبى خط بالقلم، وقطع الثياب وخاطها. انظر: الطبري. التاريخ ١٧٢/١، المسعودي. مروج الذهب ٤٢/١، ابن الجوزي. المنتظم، ٢٣٣/١، ابن كثير. البداية والنهاية ٩٩/١.

(٤) الوصابي الحبيشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصابي الحبيشي (ت ٧٨٢هـ). البركة في فضل السعي والحركة. - القاهرة: القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٥٤هـ، ص ٦.

(٥) نبى الله نوح بن ملك بن متوشلخ بن إدريس، بينه وبين آدم عليه السلام ألف سنة، وولد عليه السلام بعد وفاة آدم بثمانمائة وست وعشرين سنة. فرض الله على نوح الصلاة والحلال والحرام، وأمره الله عز وجل بصناعة السفينة، فغرس شجرة فعظم ثم قطعها، وجعل يعمل سفينة فيمرون عليه فيسخرن منه. وكان طول السفينة ألف ذراع، وكانت ثلاث طبقات: طبقة للدواب والوحش، وطبقة للأنس، وطبقة للطير. ولما استقر نوح بمن معه فتحت أبواب السماء بماء منهمر فغطى السفينة، ثم ارتفع الماء فوق الجبال فهلك كل ما على وجه الأرض من ذي روح وشجر، فلم يبق سوى نوح ومن معه. انظر: الطبري. التاريخ: ١٧٩/١، المسعودي. مروج الذهب ٤٣/١، ابن الجوزي. المنتظم: ٢٣٩/١.

الله عليه السلام^(١) كانا نجارين^(٢)، ومومس نبي الله وكليمه عليه السلام^(٣) كان أجيراً يرعى الغنم في مدين^(٤). ومحمد نبي الله ورسوله عليه الصلاة والسلام^(٥) كان يرعى الغنم على قراريط لأهالي مكة.

كما أن بعضاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عمالاً، فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه^(٦)، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٧)، وعثمان بن عفان رضي الله عنه^(٨)، بزازين^(٩)،

(١) نبي الله زكريا بن آدي - وقيل ابن برخيا - من أولاد سليمان بن داود عليهما السلام، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "كان زكريا نجاراً". أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢/٢٩٦، ٤٠٥، ٤٨٥، وانظر: ابن الجوزي. المنتظم ٥/٢.

(٢) الوصابي الحبشي. البركة في فضل السعي والحركة، ص ٦، وعبد العزيز العمري. الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم: ص ٤٦.

(٣) نبي الله موسى بن عمران بن قاهث بن لاوي بن يعقوب، وقد عمل عند صاحب مدين "يثري"، حينما قال له فيما قال الله عز وجل: "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنَكِّحَكَ بِحَبْلٍ مِّنْ بَنَاتِي هَٰؤُلَاءِ" (القصص: ٢٧) انظر: تاريخ الطبري: ١/٣٨٥، والمنتظم: ١/٣٣١، والبداية والنهاية: ١/٢٣٧.

(٤) البركة في فضل السعي والحركة للوصابي الحبشي، ص ٦.

(٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه وأنت فقال نعم كنت كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة" أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ج ٢ ص ٧٨٩، حديث رقم ٢١٤٣.

(٦) أبو بكر الصديق، عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي، ابن أبي قحافة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار والمجرة، وخليفته من بعده، وأفضل الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، وأول من أسلم من الرجال، شهرته تغني عن التعريف به. توفي سنة ١٣ هـ. انظر ترجمته في: الاستيعاب ٣/٩٦٣. وأسد الغابة ٣/٣٠٩. والإصابة: ٤/١٩٦.

(٧) عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي العدوي، أبو حفص الفاروق، خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، رضي الله عنه، شهرته شهرته تغني عن التعريف به، وهو أول من عرف بأمر المؤمنين، يضرب المثل بعده، استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ. انظر ترجمته في: الاستيعاب ٣/١٤٤، وأسد الغابة ٣/١٤٥. والإصابة: ٤/٥٨٨.

(٨) عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي، أبو عبد الله، ذو النورين، صهر النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته رقية وأم كلثوم، ثالث الخلفاء الراشدين، ورابع من أسلموا، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى. هاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة. تولى الخلافة سنة ٢٤ هـ وتوفي سنة ٣٥ هـ شهيداً. انظر ترجمته في: الاستيعاب ٣/١٠٣٧، وأسد الغابة ٣/٥٨٤، والإصابة: ٤/٥٦٤.

بزازين^(١)، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢) يسقي بالدلاء على ثمرات، وقال ابن عباس: لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبعث علياً بالراية قال: "أين علي؟" قالوا: هو في الرحا يطحن، قال: "وما كان أحدكم ليطحن"^(٣). والزبير بن العوام رضي الله عنه^(٤) كان خيَّاطاً، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه^(٥) كان يبري النبل. وعمرو بن العاص رضي^(٦) الله عنه كان خرازاً، وخباب بن الأرت^(٧)، كان حداداً، يصنع السيوف، وسلمان الفارسي رضي الله عنه^(٨) كان خواصاً يصنع الأقفاف من جريد

(١) البز: الثياب، والبزاز: بائع البز. أي بائع الثياب: انظر: لسان العرب ٣١٣/٥.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، رضي الله عنه. ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. رابع الخلفاء الراشدين. أول من أسلم من الصبيان، وصهر النبي صلى الله عليه وسلم على ابنته فاطمة، وأبو السبطين الحسن والحسين، وأول خليفة من بني هاشم. شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد إلا تبوك، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على أهله. أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى. توفي سنة ٤٠ هـ شهيداً. ترجمته في: الاستيعاب ١٠٨٩/٣. وأسد الغابة ٩١/٤، والإصابة ٥٦٤/٤.

(٣) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) الزبير بن العوام، رضي الله عنه، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. استشهد وهو تارك للحرب يوم الجمل سنة ٣٦ هـ. ترجمته في: الاستيعاب: ٥١٠/٢، وأسد الغابة: ٢٤٩/٢، والإصابة: ٥٥٣/٢.

(٥) سعد بن أبي وقاص بن مالك القرشي الزهري، رضي الله عنه. سابع سبعة في الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. وأحد الستة الذين الذين جعل فيهم الشورى. مجاب الدعوة. أول من رمي بسهم في سبيل الله، وخال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال: "إرم فذاك أبي وأمي". ترجمته في: الاستيعاب: ٦٠٦/٢. وأسد الغابة: ٣٦٦/٢، والإصابة: ٧٣/٣.

(٦) عمرو بن القاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي، رضي الله عنه. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً عام الفتح مع خالد بن الوليد، كان من فرسان قریش وأبطالهم في الجاهلية. فتح مصر وتولى خلافتها، ومات بها سنة ٤٢ هـ. ترجمته في: طبقات ابن سعد: ٢٥٤/٤. والاستيعاب: ١١٨٤/٢. وأسد الغابة: ١١٥/٤. وتحذيب الكمال للمزي: ٧٨/٢٢.

(٧) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، رضي الله عنه. شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قينا في الجاهلية. نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين، وصلى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ترجمته في: طبقات ابن سعد: ١٦٤/٣. والاستيعاب: ٤٣٧/٢. وأسد الغابة: ٩٨/٢. وتحذيب الكمال للمزي: ٢١٩/٨.

(٨) سلمان الخير الفارسي، أبو عبد الله ابن الإسلام، رضي الله عنه، وهو من أهل رامهرمز من أهل أصبهان من قرية يقال لها: جي، وكان أبوه دهقان أرضه - أي ملكهم - وكان على الجوسية ثم لحق بالنصارى، ورغب عن الجوس، ثم صار إلى المدينة، وكان عبداً لرجل من يهود فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً أتاه سلمان فأسلم وكتب مولاه اليهودي فأعانه النبي صلى الله عليه وسلم

النخل، والمهلب بن أبي صفرة رحمه الله^(١) كان بستانياً، وأم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها^(٢) كانت تدبغ وتخز وتصدق به في سبيل الله، وغيرهم الكثير.

وهذه فاطمة بنت رسول الله صلى عليه وسلم سيدة نساء أهل الجنة رضي الله عنها جاءته صلى الله عليه وسلم شاكية من أثر الرحا في يدها، ومن إرهاقها وتعبها من عمل البيت، وعدم تحملها معاناة ذلك، فقد ورد في صحيح البخاري: أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فتقول فاطمة رضي الله عنها "فجاء النبي صلى الله عليه وسلم إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال: "على مكانكما" فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: "ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبران أربعاً وثلاثين وتسبحان ثلاثاً وثلاثين وتحمدان ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم"^(٣).

عن أسماء بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه قالت فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأستقي الماء وأخرز

والمسلمون حتى عتق. ترجمته في: طبقات ابن سعد: ١٦/٦. والاستيعاب: ٦٣٤/٢، أسد الغابة: ٣٢٨/٢. وسير أعلام النبلاء: ٥٠٥/١. تهذيب الكمال للمزي: ٢٤٣/١١.

(١) المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أبو سعيد الصفري. كان أميراً في قومه، وكان يقول: ما شيء أبقى للملوك من العفو، وخير مناقب الملوك العفو. ترجمته في: طبقات ابن سعد: ١٢٩/٧. وسير أعلام النبلاء: ٣٨٣/٤. وتهذيب الكمال للمزي: ٨/٢٩.

(٢) زينب بنت جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مروة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمعة الأسدية، رضي الله عنها، أم المؤمنين. تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث، وهي التي أنزل الله عز وجل في شأنها: "قُلْنَا قُتِي بُرْدٌ وَمِنْهَا وَطَرٌ رَوَّجْنَاكِهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا" (الأحزاب: ٣٧)، ماتت سنة عشرين من الهجرة، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً. ترجمتها في: طبقات ابن سعد: ١١٤/٨. وتهذيب الكمال للمزي: ١٨٤/٣٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ١٣٥٨/٣ حديث رقم ٣٥٠٢.

غريه^(١) وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق. قالت وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي على ثلثي فرسخ. قالت فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فدعاني ثم قال إخ إخ ليحملني خلفه قالت فاستحييت وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه. قالت حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقتني^(٢).

وكما بحث الإسلام على تعلم المهن والصناعات، فإنه يحرم أيضاً بعض المهن التي تسبب ضرراً للناس، فيحرم الإسلام ممارسة بعض الأعمال والمهن، التي فيها أذى للمسلم، أو استغلال لضعفه، مثل العمل في صناعة الخمر، ومؤسسات القمار، والكهانة، وغير ذلك من الأمور المحرمة، أو التي تضر بالمسلمين وغيرهم.

فبدون عمل الإنسان لا إنتاج ولا قيمة مضافة: فالله عز وجل سخر للإنسان الأرض والبحر والأنهار والفلك والأنعام.

قال عزوجل: " اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

(١) الخرز: خياطة الجلود. والغرب: الدلو الكبير، أي أحيط وأسوي دلوه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا أعتيت في الطريق: ١١/٤-١٢.

دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ*وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" (١).

وقال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ
أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ" (٢).

ولكن هذه الموارد والطاقات المسخرة للإنسان لا قيمة لها ما لم تمسها يد الإنسان وذهنه، أي ما
لم يضيف إليها العمل الإنساني.

تعلم مهنة أو صناعة أو حرفة يقي من الفقر:

يعتبر الفقر مصيبة وآفة خطيرة توجب التعوذ منها ومحاربتها، كما أنه سبب لمصائب كثيرة، لذلك
حذر الإسلام منه، وحرص على محاربته.

ويحث الإسلام الناس على السعي والعمل وهو يريد من المسلم أن يكون عضوا عاملا ومنتجا في
المجموعة الإنسانية. قال عز وجل: "فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (٣)، أي إذا فرغت من العبادة فعليك بالجد في تحصيل العيش.

كما يقتضي العمل لطلب الرزق في الإسلام مسؤولية وأمانة ملقاة على عاتق العامل، فيجب عليه
أن يتقن العمل ويجيد الصناعة التي يقوم بها، وما يقتضي ذلك من تحسين الإنتاج وإجادته، والوقوف على
أفضل الطرق والوسائل الحديثة من تحديد وابتكار واختراع، واستخدام للعقل والمواهب وإتباع للأساليب

(١) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢، ٣٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٥.

(٣) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

المطورة لزيادة الإنتاج واستمراره، حيث إن من مقتضى الإيمان إتقان العمل^(١).

والإسلام يفرق بين البطالة والتبطل، فالبطالة هي القعود عن العمل في حالات الضرورة القاسية التي قد تصل بالإنسان إلى وضع يحل له فيه "المسألة" أي الاستجداء، ولكنه يحث العاطلين اضطراراً إلى احترام أي مهنة ولو بدت حقيرة في نظر الناس، فإن ذلك خير من المسألة. وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"^(٢).

وبالمقابل فإن الإسلام يشجب التبطل أي إدعاء البطالة نتيجة التخاذل أو الكسل، ويحكي أن رسول الله دخل ذات يوم المسجد، فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال يا أبا أمامة ما لي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة قال هموم لزمته وديون يا رسول الله قال: أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى عنك دينك، قال قلت: بلى يا رسول الله، قال: قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال"، قال: ففعلت ذلك فأذهب الله عز وجل همي وقضى عني ديني.

وهنا أفهمه النبي صلى الله عليه وسلم أن الجلوس في المسجد والركون إلى الكسل ليسا وسيلة لقضاء الدين وتفريج الهم وأمره بالعمل والسعي^(٣).

كما قدّم الإسلام حلولاً عملية واقعية يأخذ بها الناس ليدرأوا عن أنفسهم شبح الفقر والحرمان وما

(١) زيدان عبد الباقي. العمل والعمال والمهن في الإسلام. - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٧م، ص ١٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ١/١٦٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب الاستعاذة: ١٢٤/٢، حديث رقم ١٥٥٥.

ينجم عنه، ومن ذلك:

١- **العمل والسعي**: يعتبر الخبراء أن العمل أساس الاقتصاد الإسلامي، فهو المصدر الرئيس للكسب الحلال. والعمل مجهود شرعي يقوم به الإنسان لتحقيق عمارة الأرض التي استخلف فيها والاستفادة مما سخره الله فيها لينفع نفسه وبني جنسه في تحقيق حاجاته وإشباعها. وقد حث الإسلام على السعي والعمل من خلال: الامتنان بنعمة تسخير الأرض وما فيها، وطلب الاستفادة منها عبادةً لله عزوجل، قال تعالى: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ"^(١)، وقال تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ"^(٢)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً"^(٣)، والشاهد في هذا الحديث: "أن الطير تغدو سعيًا وحركة، أي تخرج من أول النهار خماصاً أي: جياعاً، وتروح، أي تعود آخر النهار بطاناً، أي: ممتلئة الأجواف"، وليكن شعار المسلم: "ابذر الحبَّ... وارحُ الثمار من الرب".

٢- الحث على أنواع المهن والحرف ومن ذلك:

التجارة: وقد اشتغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتجارة، وتاجر مع عمه ثم مع أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها واشتغل صحابته الكرام بذلك ومنهم: أبو بكر، وعثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم وغيرهم، وقد تواصل السلف فيما بينهم ومع تلامذتهم أن: "الزموا السوق".

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٠.

(٢) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين: ١٣٩٤/٢ حديث رقم ٤١٦٤.

وقد امتن الله على أهل مكة بما هيا لهم من أسباب جعلت بلدهم مركزاً تجارياً ممتازاً في جزيرة العرب " أَوَلَمْ تُمْكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا " ^(١)، وبهذا تحققت دعوة إبراهيم عليه السلام " رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ " ^(٢).

وامتن الله على قريش إذ يسر لهم رحلتين تجاريتين في كل عام: رحلة إلى اليمن في الشتاء، ورحلة إلى الشام في الصيف، يسرون فيها آمنين بفضل سدانتهن للبيت والكعبة، فليشكروا هذه النعمة بعبادة الله وحده، ورب البيت وصاحب الفضل عليهم " لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ " ^(٣). وقد هيا الإسلام للمسلمين فرصة التبادل التجاري فيما بين أقطارهم وشعوبهم على نطاق عالمي واسع في كل عام، وذلك في الموسم السنوي الإسلامي العالمي: موسم الحج إلى بيت الله الحرام، حين يأتون " رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ " ^(٤)، ومن هذه المنافع التجارة، وقد روى البخاري أن المسلمين كانوا يتخرجون من التجارة في موسم الحج، يخشون أن يكون في هذا ما يشوب إخلاص نيتهم، أو يكدر صفاء عبادتهم، فنزل القرآن يقول في صراحة وجلاء ^(٥): "لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ " ^(٦).

وقد امتدحت السنة النبوية الشريفة التجارة والتجار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "التاجر الأمين

(١) سورة القصص، الآية: ٥٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٣) سورة قريش.

(٤) سورة الحج، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

(٥) يوسف القرضاوي. الحلال والحرام في الإسلام، ص ٩٨-٩٩.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٩٨.

- الزراعة: ففي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه يقول رسول الله صلى الله

عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له

به صدقة" (٢).

وعند الترمذي وغيره من حديث جابر وسعيد بن زيد يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحيأ

أرضاً ميتة فهي له" (٣).

- الصناعات والحرف: ففي البخاري يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعاماً قط

خيراً من أن يأكل من عمل يده، وأن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" (٤). وقد سئل

رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أي الكسب أفضل؟" قال: "عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور" (٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن يخطب أحدكم حزمة على ظهره، خير من أن يسأل أحداً

فيعطيه أو يمنعه" (٦).

٣- اعتبار العمل والكسب من الصدقات ووسيلة إليها: في الحديث المتفق عليه من حديث أبي موسى

الأشعري رضي الله عنه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على كل مسلم صدقة، قالوا: فإن لم

يجد؟ قال: فيعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق، قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل، فيعين ذا الحاجة

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب: ٧٢٤/٢ حديث رقم ٢١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه: ٨١٧/٢ حديث رقم ٢١٩٥.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب إحياء الموات، باب من أحيأ أرضاً ميتة ليست لأحد: ٣٢٤/٥ حديث رقم ٥٧٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده: ٧٣٠/٢ حديث رقم ١٩٦٦.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين: ١٢/٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده: ٧٣٠/٢ حديث رقم ١٩٦٨.

الملهوف، قالوا: فإن لم يفعل، قال: فليأمر بالخير أو قال: بالمعروف. قال: فإن لم يفعل، قال: فليمسك عن الشر، فإنه له صدقة^(١).

٤ - تربية صفوة البشر من الأنبياء على العمل لاتخاذهم قدوة: فقد عمل الأنبياء في أعمال وحرف عدة ومنها رعي الأغنام، وصناعة الحديد، والتجارة، وغيرها، ومما ورد في ذلك من الأدلة: قول الرجل الصالح لموسى - عليه السلام - وهو من أولي العزم من الرسل: " قَالَ إِيَّيْ أُرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ"^(٢)، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما بعث الله نبياً إلا رعى غنماً"، قال له أصحابه: وأنت يا رسول الله، قال: "وأنا كنت أرهاها لأهل مكة بالقراريط"^(٣). وفي البخاري أيضاً من حديث المقدم - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"^(٤). وهكذا فعل ورثة الأنبياء من العلماء فاشتهرت أسماء أمثال: البرّاز، الجصّاص، الخوّاص، القطان، الزجاج، والنحاس، وغير ذلك.

ه - عدم الاعتراف بالملكية التي لا يكون مصدرها العمل والطرق المشروعة: فحرّم الإسلام أعمال الغصب والسلب والسرقة والنصب والمقامرة والربا وما ينشأ عنها من مكاسب مالية، واتخذ إزاء ذلك العقوبات الرادعة، وفي ذلك إلزام لأفراد المجتمع في البحث عن الكسب المشروع، وأغلب ذلك لا يتأتى إلا عن طريق العمل.

٦ - التهيب من التسوّل والاحتياال على الآخرين: ففي القرآن الكريم الحث على الاهتمام بالذين لا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب كل معروف صدقة ٢٢٤١/٥ حديث رقم ٥٦٧٦.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٧.

(٣) أخرجه ابن ماجه في صحيحه، كتاب التجارات، باب الصناعات: ٧٢٧/٢ حديث رقم ٢١٤٩. والقراريط جمع قيراط وهو من أجزاء الدرهم.

(٤) سبق تخريجه.

يَتَسَوَّلُونَ وَتَحْسَسُ أَحْوَالَهُمْ وَرَعَايَتَهُمْ: قَالَ تَعَالَى: " لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا " (١).
وروى الشيخان من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعَةٌ لحم" (٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأل الناس أموالهم تَكَثُرًا فإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا، فليستقل، أو ليستكثر" (٣).

النهي عن التصدق على غير المحتاج: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّةٍ سوي" (٤)، عن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال: "أما في بيتك شيء"، قال: بلى جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: "أئتني بهما" فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: "من يشتري هذين" قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: "من يزيد على درهم مرتين أو ثلاثاً" قال رجل: أنا آخذهما بدرهين، فأعطاهما إياه، وأخذ الدرهمين وأعطاهما الأنصاري، وقال: "اشتري بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به" فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده، ثم قال له: "اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوماً" فذهب الرجل يحتطب ويبيع، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشتري ببعضها ثوباً، وبعضها طعاماً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا خير لك من أن تجيئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تَكَثُرًا: ٥٣٦/٢ حديث رقم ١٤٠٥، ومزعة لحم: أي تنفة لحم، علامة على ذله بالسؤال.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب كراهية المسألة للناس: ٧٢٠/٢، حديث رقم ١٠٤١.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب ذكر تحريم الصدقة على الأصحاء الأقوياء: ٧٨/٤ حديث رقم ٢٣٨٧. قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣١٦/٤: المِرَّةُ: القوة والشدة، والسَوِيُّ: الصحيح الأعضاء.

تصلح إلا لثلاثة: لذي فقر مدقع، أو لذي غرم مفظع، أو لذي دم موجع"^(١).

وحتى يستفيد المسلم من التوجيهات الشرعية التي سبق إيضاحها، لابد له من الحرص على الوقت، وعدم ضياعه هباء دون فائدة، فقد حظي الوقت بنصيب وافر من العناية فيما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأقوال والأفعال.

فتؤكد السنة المطهرة أن الوقت من نعم الله على عباده وأنهم مأمورون بحفظه ومسئولون عنه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ"^(٢).

وقت المسلم أمانة عنده، وهو مسئول عنه يوم القيامة، هذا ما تؤكد السنة المطهرة، فهناك أربعة أسئلة سيُسألها العبد أمام الله عزوجل يوم القيامة، منها سؤالان خاصان بالوقت، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزول قدماً عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه"^(٣). أي أن العبد في ذلك الموقف العصيب، يوم القيامة، لن تزول قدماه، ولن يبرح ذلك المكان، حتى يسأل ويحاسب عن مدة عمره بعامة كيف قضاه، وعن فترة شبابه بخاصة كيف أمضاها، ذلك أن الشباب هو محور القوة والحيوية والنشاط، وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر الأخرى، لذا فقد خص بالسؤال عنه مستقلاً مع أنه داخل ضمن السؤال عن العمر وذلك لأهميته.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم من أشد الناس حرصاً على وقته، وكان لا يمضي له وقت في غير عمل

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب ما تجوز فيه المسألة: ١٦٢/٢ حديث رقم ١٦٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ: ٢٣٥٧/٥ حديث رقم ٦٠٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص: ٦١٢/٤ حديث رقم ٢٤١٦.

لله تعالى، أو فيما لا بد منه لصالح نفسه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف حال النبي صلى الله عليه وسلم بأنه: "كان إذا أوى إلى منزله جزأً نفسه دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأً جزأه بينه وبين الناس"^(١).

كما كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إعمار وقته بالعبادة والطاعة، فقد جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: "لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً"^(٢).

وعن بشر بن رافع قال: حدثنا شيخ من أهل صنعاء يقال له أبو عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول لأبي وجدت في حكمة آل داود على العاقل أن لا يشتغل عن أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يصدقونه عيوبه وينصحونه في نفسه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل، فإن هذه الساعة عون لهذه الساعات واستحمام للقلوب وفضل وبلغة وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في إحدى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم وعلى العاقل أن يكون عالماً بزمانه ممسكاً للسانته مقبلاً على شأنه"^(٣).

ومن الأقوال المأثورة في الحث على استثمار الوقت واقتناص فرصه، حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه: "اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١٥٥/٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ..." : ١٨٣٠/٤ حديث رقم ٤٥٥٧.

(٣) مصنف عبد الرزاق ج ١١، ص ٢١، ٢٢.

هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغنائك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلِكَ، وحياتك قبل موتك" (١).

كما كان صلى الله عليه وسلم يأمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول العوائق فيقول: "بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرمًا مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر" (٢).

فهو صلى الله عليه وسلم يحث أمته على المبادرة بأداء الأعمال وعدم تأجيلها، ذلك أن حال الإنسان لا يخلو من وقوع المعوقات من مرض أو هرم أو موت أو نحو ذلك مما يقف حائلاً دون أداء الأعمال أو إتمامها، فالمعوقات كثيرة، والحاذق من بادر بأداء العمل قبل أن تحاصره العوائق.

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر بالتبكير في أداء الأعمال، فعن صخر الغامدي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اللهم بارك لأمتي في بكورها، وكان إذا بعث سرية أو جيشاً بعثهم من أول النهار"، وكان صخر رجلاً تاجراً، وكان يبعث تجارته من أول النهار، فأثرى وكثر ماله (٣).

وفي هذا المعنى أيضاً تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "باكروا طلب الرزق والحوائج، فإن الغدو بركة ونجاح" (٤).

وعن فاطمة رضي الله عنها وأرضاها قالت: مرّ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجعة

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: على الصحيحين، كتاب الرقاق: ٣٤١/٤ حديث رقم ٧٨٤٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن: ١١٠/١ حديث رقم ١١١٨.

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب ما يرجى من البركة في البكور: ٧٥٢/٢ حديث رقم ٢٢٣٦.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: ١٩٣/٧ حديث رقم ٧٢٥٠.

متصبة فحركني برجله ثم قال: "أيا بنية قومي اشهدي رزق ربك ولا تكوني من الغافلين، فإن الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"^(١).

ونلاحظ أن الله خفف صلاة الصبح وجعلها ركعتين فقط وجعل وقتها ضيقاً ليقوم المسلم مبكراً يغتنم هذه الساعات المباركة، كما مد الله في فسحة أول النهار فلم يطالب المسلم بالصلاة إلى منتصفه حتى يتفرغ لعمله طول النهار.

وببارك القرآن الكريم انتقال القوى العاملة من مناطق الشدة إلى مناطق الرخاء، ويشجع الإنسان على أن يسعى في الأرض، ما دامت أرض الله واسعة ويلوم من رضوا لأنفسهم بالذل وعاشوا مستعبدين عاطلين فقراء: "أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا"^(٢).

كما يحث الإسلام على إتقان العمل، قال الله عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"^(٣) وقال رسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"^(٤).

كما نجد أن الإسلام قد مجد العمل وأكبر شأنه، فلذلك نجد أن العمل يعتبر ضرباً من العبادة، وسبيلاً للتقرب إلى الله عز وجل، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: من بات كالأل من عمل يده بات مغفوراً له"^(٥) ويقول أيضاً صلى الله عليه وسلم: "من بني بنياناً من غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غرساً

(١) تحفة الأحوذى للمباركفوري، باب ما جاء في الرخصة في الشراء إلى أجل: ٢٣٩/٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٩٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ٣٤٩/٧ حديث رقم ٤٣٨٦.

(٥) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده: ٣٠٦/٤ في شرح حديث رقم ٢٠٧٥.

في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجر جار ما انتفع به من خلق الله تعالى" (١).

والمرأة والرجل سواء في هذا المضمار، فقد أعاد الإسلام للمرأة كرامتها الإنسانية بالنسبة للرجل، فهو يضعها مع الرجل موضع التكليف والمسئولية ويمنحها من الحقوق ما يمنحه للرجل مثل حق التملك، والبيع والشراء، وحق الهبة والتبرع كما أعطى لها حظاً من الميراث " لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ " (٢)، فإذا رغبت المرأة في العمل فينبغي أن يكون عملاً يليق بها، ويصون كرامتها، ويكون عملاً مفيداً ينفع أسرتها ومجتمعها.

صحيح أن الإسلام يوفر للمرأة حقها في النفقة من زوجها، إن كانت متزوجة، ومن أقاربها إذا لم تكن متزوجة، ولكنه مع ذلك يجيز لها أن تعمل وتكسب قوتها لكفاية نفسها وأسرتها ولرفع مستوى معيشتهم.

ويضع الإسلام في كل الأحوال شروطاً عامة لعمل المرأة، أهمها: المحافظة على حدود الشريعة التي تحتم عليها مراعاة الصيانة والشرف والعفة.

ولا يخلو مجتمع من العاجزين عن العمل والجهد والكسب من كد اليد والاعتماد على النفس من أمثال الأرامل واليتامى والشيخوخ وأصحاب العاهات المعوقة، وكذلك الذين لا يكفيهم دخلهم من العمل أو القادرين الذين لم يتيسر حصولهم على عمل، وهؤلاء جميعاً لم يتركهم الإسلام هملاً وعرضة لآفة الفقر والحرمان تسحقهم وتلجئهم مكرهين إلى ذل السؤال والتكفف، بل عمل كفالتهم من قبل المجتمع المسلم الذي ينتمون إليه ويُحْسَبُونَ عليه، إذن فقد حث الإسلام على أن ينتفع من لم يجد عملاً أو عجز عن

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٣٨/٣.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٢.

العمل لإعاقاة أو شيخوخة أو مرض من الذين يعملون ويتكسبون بعملهم من خلال مصارف الزكاة والصدقات المفروضة.

مما سبق يتضح أن الإسلام قد وضع الأدوية المتعددة لداء الفقر، ويُنّ الحلول المتنوعة لمعضلة الحاجة والحرمان، ولم يكن ذلك مجرد مبادئ نظرية يتم الحديث عنها بعيداً عن صلاحيتها للواقع، بل إن المسلمين قد طبقوها وأقاموها في مجتمعاتهم.

الفصل الثاني: الألقاب والكنى وارتباطها بالحرف والصناعات

والمهن بغرب شبه الجزيرة العربية

التمهيد:

كانت شبه الجزيرة العربية التي تتمتع بموقع إستراتيجي بين ثلاث قارات كبرى، وتقع في النصف الشمالي للكرة الأرضية موطناً لكثير من الحضارات ومهداً للرسالات السماوية والرسل.

والمملكة العربية السعودية تشكل القسم الأكبر من شبه الجزيرة العربية، وتتألف من سهول ضيقة على ساحل البحر الأحمر وهي: (سهول تامة)، تليها، نحو الشرق، سلاسل جبلية تمتد على طول البلاد وهي: (جبال الحجاز، وعسير ويتعدى أقصى ارتفاعها ٢٠٠٠م)، ثم صحارى وهضاب صخرية في الوسط (٩٠% من المساحة العامة)، أكبرها صحراء النفود في الشمال والربع الخالي في الجنوب. أما في الشرق، وعلى طول ساحل الخليج العربي، فتمتد سهول ساحلية واسعة.

وتشغل المملكة العربية السعودية أربعة أخماس شبه جزيرة العرب بمساحة تقدر بأكثر من ٢.٢٥٠.٠٠٠ كيل مربع.

وتتنوع تضاريس المملكة نظراً لاتساع مساحتها، فعلى امتداد البحر الأحمر سهل تامة الساحلي الذي يبلغ طوله حوالي ١١٠٠ كيل، ويتسع عرضه ليلغ ٦٠ كيلاً في الجنوب، ويضيق كلما اتجه شمالاً عند خليج العقبة، وترتفع إلى الشرق من هذا السهل سلسلة جبال السروات الشاهقة، والتي يتراوح ارتفاعها ما بين ٩٠٠٠ قدم في الجنوب، ويقل الارتفاع تدريجياً كلما اتجهت شمالاً، لتصل إلى ٣٠٠٠ قدم، وتنحدر منها أودية كبيرة تتجه شرقاً وغرباً، مثل: وادي جازان، ووادي بجران، ووادي تثليث ووادي بيشة، ووادي الحمض، ووادي الرمة، ووادي ينبع، ووادي فاطمة، ويلى هذه السلسلة من جهة الشرق هضبة نجد ومرتفعاتها التي تنتهي شرقاً بكثبان الدهناء، وصحراء الصمان، وجنوباً بمنطقة يتخللها وادي الدواسر، وتحاذي صحراء الربع الخالي، ومن الشمال تمتد سهول نجد إلى منطقة حائل، حتى تتصل بصحراء النفود الكبرى، ثم بحدود العراق والأردن، كما يوجد بها بعض المرتفعات الجبلية مثل: جبال طويق، والعارض، وأجا، وسلمى. أما صحراء الربع الخالي فهي تشكل الجزء الجنوبي الشرقي من المملكة، وهي منطقة صحراوية كبيرة تقدر مساحتها بـ ٦٤٠٠٠٠ كيل مربع تتكون من كثبان رملية وسبخات. أما السهل الساحلي الشرقي والذي يبلغ طوله حوالي ٦١٠ أكيال، فهو يتألف من سبخات ملحية ومناطق رملية.

وقد ازدهرت فيها حضارة مدين، حضارة قوم النبي شعيب عليه السلام^(١)، التي عاش فيها موسى

(١) هو نبي الله عليه السلام: شعيب بن عيفا بن نوب بن مدين بن إبراهيم، وقد أرسله الله عز وجل إلى أمتين: أهل مدين، وأصحاب الأيكة، وكانت مدين دار شعيب، والأيكة خلف مدين. وكان سنه عشرين سنة عندما أرسل لقوم مدين الذين كانوا يبخسون في المكايل والموازين، فدعاهم إلى التوحيد، ونهاهم عن التطفيف، وقد كان يقال له: خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته لقومه، فلما طال تماديهم بعث الله عليهم حزاً شديداً فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا أجواف البيوت، فدخل عليهم فخرجوا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فأظلمت من الشمس، فوجدوا برداً ولذة، فنادي بعضهم بعضاً حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم، فذلك عذاب يوم الظلة. انظر: المنتظم لابن الجوزي: ٣٢٤/١-٣٢٥.

عليه السلام^(١) عشر سنوات، قبل أن يبعث رسولاً إلى فرعون مصر.

وفي العلا كانت حضارة ثمود قوم النبي صالح عليه السلام^(٢)، والتي لا تزال آثارها موجودة حتى اليوم، في المنطقة المعروفة باسم مدائن صالح، وفي نجران نجد الأخدود، الذي ذكر في القرآن الكريم عن أصحاب الأخدود .

وفي هذه الجزيرة التي كانت ممراً تجارياً مهماً وطريقاً للقوافل، أنزل الله القرآن على سيدنا ونبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وانتشرت رسالة الإسلام السمحة في قلب شبه الجزيرة العربية، وترامت منها إلى سائر أرجاء العالم، حتى وصلت إلى أفريقيا وآسيا وجزء من أوروبا على مدى عصور ازدهار الدولة الإسلامية، حتى أصبح المسلمون في الوقت الحاضر حوالي المليار والنصف نسمة.

ومرت مئات من السنين ظهرت فيها دول، وزالت دول، وقام المسلمون بدورهم الحضاري التاريخي، الذي عبرت عليه الحضارة الإنسانية الحديثة من عصورها المظلمة، وانتشر الإسلام في شتى بقاع

(١) سبقت ترجمته.

(٢) قال الله تعالى: " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَكْبَرُوا ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ " (هود: ٦١). وقال عزوجل: " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ " (النمل: ٤٥). وقال سبحانه: " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهُا بِسَوْءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ " (الأعراف: ٧٣). فهذه الآيات الكريمات تدل على أن صالحاً كان نبياً ورسولاً أرسله الله عزوجل إلى قوم ثمود ليدعوهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، ولا يشركوا معه أحداً. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً فقال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الآلهة فما لكم من إله غيره يستوجب عليكم العبادة ولا تجوز الألوهة إلا له هو أنشأكم من الأرض يقول هو ابتداء خليفكم من الأرض". انظر. تفسير الطبري ج ١٢ ص ٦٢. عن نوف الشامي أن صالحاً النبي صلى الله عليه وسلم من العرب لما أهلكت الله عاداً وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها فاستخلفوا في الأرض فانتشروا ثم عتوا على الله فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله بعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً وكانت منازلهم الحجر إلى قرع وهو وادي القرى ثمانية عشر ميلاً فيما بين الحجر إلى الحجاز فبعثه الله إليهم غلاماً شاباً فدعاهم إلى الله حتى شط وكبر ولا يتبعه منهم إلا قليل مستضعفون فهلك عاد وثمود ومن كان منهم من تلك الأمم وكانوا من ولد لاوذ بن سام بن نوح ولم يكن بين نوح وإبراهيم نبي قبله يعني قبل إبراهيم إلا هود وصالح. انظر: المستدرک على الصحيحین ج ٢ ص ٦١٦.

كانت بلاد شبه الجزيرة العربية تعيش نمطين من الحياة تجسد بحياة البوادي والمدن، والتي كان بينهما علاقة قائمة، حيث استمدت البوادي سماتها الحضارية من حياة الحضر، وزودت البوادي بدورها المجتمع الحضري بموجات بشرية متجددة كانت في كل مرة تحمل إليها دماً جديداً، وقد أسهم الموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية بإيجاد هذا المجتمع، وذلك من خلال موقعها بين القارات المعروفة آنذاك، وهي آسيا وأوروبا وأفريقيا، ما جعلها همزة وصل بين الأمم وواسطة العقد بين الحضارات الأولى والتقاء طرق القوافل التجارية القديمة "بحرية - برية"، الأمر الذي جعل الطابع التجاري يغلب على حضارات العرب. أضف إلى ذلك، ما خلق الله لشبه الجزيرة العربية من طبيعة مختلفة التضاريس والمناخ كان لها دور أساس في حركة التنقل الداخلي في شبه الجزيرة، حيث كانت حالة المناخ من قبل ألفي سنة أو ثلاثة تختلف عما نعرفه اليوم.

كما أن طبيعة التضاريس التي أوجدها الله في شبه الجزيرة العربية جعلت سكانها يعيشون حياة خاصة، وقد أفرز هذا الواقع نمطين من الحياة في شبه الجزيرة العربية.

النمط الحضري: الذي فرض نوعاً من الاستقرار، حيث وفرت لسكانها مستلزمات الحياة من زراعة معروفة وتمدين، ما مهد الطريق لإقامة علاقات أكثر تطوراً وتنظيماً في التعامل الخارجي والانتظام الداخلي، وأنشأ المدن التي بدأت تشكل بدايات بنية اجتماعية وسياسية تختلف من حيث الشكل عما هو سائد في المناطق الصحراوية التي يعيش فيها البادية، فمعروف أن الحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التي يعيشون فيها، وظروف الحياة التي تحيط بهم، فمنهم من عمل بالزراعة والصناعة في المدن الداخلية، ومنهم من عمل بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ، والتجارة الخارجية، وركوب البحر في المناطق

أما النمط البدوي الذي اختلف من حيث المظهر عن حياة الحضر، إذ كان قوام الحياة البدوية يعتمد على الرعي والتنقل، ما جعل القبائل تجوب الصحراء طلباً للماء والكأ برعي مواشيها وإبلها، التي فرضت بتداعياتها أشكالاً شتى من الممارسات، وكان عامل الجذب والخصب يؤثر في حياة البدو والحضر على السواء، من حيث الاستقرار وتوفير الأمن، فنزول الأمطار يجلب الخصب وانتشار المراعي في الصحراء، كما أن توفير المياه في الآبار والعيون يساعد على الزراعة وانتشار المزارع حول المدن.

كما أن العلاقة بين الحاضرة والبادية كانت تتأثر بنزول المطر في حالة الخصب، فيعم الأمن والاستقرار بين الحاضرة والبادية. أما في حالة الجذب تعم الحروب والنهب والسلب وعدم الاستقرار.

وكان سكان الحاضرة يقومون بالزراعة، وخاصة التمور والحبوب، وصناعة الحلي والأواني والملابس وغيرها.

كما كان سكان البادية يقومون بتربية الإبل، وهي الوسيلة المهمة في عملية التنقل من مكان إلى آخر، وخاصة لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارات المتبادلة بين سكان المدن مهما بعدت مسافاتها، وتعتبر الإبل أيضاً وسيلة لنقل الجيوش والمعدات في أثناء الحروب.

كما تقوم البادية بتربية الماشية والاستفادة من منتجات الألبان بتوفير السمن والألبان المجففة، والقيام بصناعة المفروشات، وبيوت الشعر، ونتيجة لذلك قامت حول المدن أسواق تجارية عرفت بأسماء المدن، أو بأسماء الأيام التي تعقد فيها مثل: "سوق الجمعة"، أو "سوق الخميس" أو "سوق الاثنين"، وفي هذه الأسواق تقوم عملية التبادل التجاري بين سكان المدن وسكان البادية.

فالبادية تقوم بشراء ما تحتاجه من هذه الأسواق من تمر وحبوب وملبوسات وحلي وأوان وغيرها، بينما يقوم سكان المدن بشراء ما يحتاجونه من مفروشات صوفية وسمن وألبان مجففة وأغنام للاستفادة من لحومها، وهذه التجارة لن تتوافر ما لم يوجد أشخاص وهبوا أنفسهم للقيام بتوفير هذه المنتجات لبيعها للآخرين ممن يحتاجونها، والاستفادة من مدخولها المادي، وتوفير حياة سعيدة مستقرة لهم ولذويهم، وهذه الصناعات فرضت على القائمين عليها ألقاباً خاصة بهم بنوع الحرفة والصناعة التي يقومون بها.

ونجد أن تأثير الألقاب في مناطق الحضر أكثر منه في مناطق البدو، حيث يكثر في مناطق الحضر أصحاب المهن والصناعات والحرف، ولذلك فإن إطلاق الألقاب على أصحاب هذه المهن أمر ضروري ومهم للتعريف بهم، وسهولة وصفهم . أما في المناطق البدوية فإطلاق الألقاب غالباً ما يكون باسم القبيلة أو الفخذ.

وقد اشتهر الإقليم الغربي من شبه الجزيرة العربية بقلّة الموارد وضعف الإمكانيات مقارنة بغيره من بلاد العالم القديم كالشام ومصر واليمن والعراق وفارس وغيرها، فقد كانت تختلف الموارد فيه من مكان لآخر، ففي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت التجارة تغلب على مكة، بينما كانت الزراعة والصناعة تغلب على الطائف، كما تغلب الزراعة على المدينة، ولم تكن تخلو هذه البلاد من حرفيين، أما بقية بلاد الحجاز التي تنتشر فيها القبائل المختلفة فكان الغالب عليها الرعي، فضلاً عن بعض النشاطات الاقتصادية في حدود ما تسمح به البيئة^(١).

وقد تميزت بلاد الحجاز عن غيرها من بلاد العرب من قديم الزمان بعدم الخضوع للنفوذ الأجنبي،

(١) عبد العزيز بن إبراهيم العمري . الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . ط ٣ - الرياض : دار إشبيلية للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، ص ١٤.

فقبل عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت هناك دولتان هما الفرس والروم كانتا تتجاذبان النفوذ في بلاد كثيرة، حيث لم تخل أجزاء من بلاد العرب من آثار هذا التنافس، وبعد هاتين الدولتين، ظهرت دول أخرى سيطرت على أجزاء كثيرة من العالم ومنها العالم العربي، وبحمد الله لم تدنس أقدام المستعمر أرض شبه الجزيرة العربية، فلقد سيطر الانجليز والفرنسيون في العصر الحديث على غالبية المناطق العربية، وكانت المناطق التي تحتضنها المملكة العربية السعودية في الوقت الحاضر خارجة عن نطاق سيطرة تلك الدول الاستعمارية بالرغم من كل محاولاتها المتعددة، وإنها حماية الله لهذه الأرض الطاهرة من أن تطأها أقدام المستعمر البغيض.

وكانت للعادات الاجتماعية السائدة بين سكان الحجاز بفئاتهم المختلفة من بدو وحضر تأثير كبير على الحياة في الحجاز، حيث إن هذه العادات تتحكم في تصرفات الأفراد، وبالتالي توجه المجتمع إلى سلوكات معينة.

فكراهية العرب للصناعة واحتقارهم للصانع - خاصة في الجاهلية - قلل من الصانع، وجعل هذه الحرف حكراً على أناس أرقاء أو مهاجرين من أماكن أخرى. فقد كانت للحرب في الجاهلية بعض الأعراف والعادات التي ساروا عليها وأثرت على حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فكانوا يحتقرون بعض المهن والحرف، ويتبعون عنها، ويقبلون عار بعضها، فنجد البدو يفضلون الرعي والتجارة، ويأنفون من الزراعة، في حين يقبل الحضرة على الزراعة والصناعة.

أما الصناعة فتختلف، فمنها ما هو مقبول عندهم، كالغزل والنسيج، حيث كان يمتنها الكثير من البدو والحضر، وكانوا يحتقرون مهنة الحدادة، ويطلقون على من يمتن مهنة الحدادة (القين) وهي في اللغة: العبد الرقيق.

وقد استغل غير العرب نفور العرب واحتقارهم للصناعات بأن امتهنوها، وحققوا من وراء ذلك أموالاً طائلة.

فكان ذلك دافعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ترغيب الناس في العمل والكسب، محاولاً بذلك تحطيم هذه العادات السيئة، والعمل على احترام العاملين والصناع.

فكان صلى الله عليه وسلم يطبق بنفسه بعض الأمور التي تخالف مفهوم العرب من النفور من الحرف وبمن يمتهنها، فقبوله لدعوة خياط في المدينة دعاه للطعام كان له أكبر الأثر في تغيير نظرة الناس المحقرة للصناع^(١).

ومن منطلق سلوك الرسول في تغيير مفاهيم الناس الخاطئة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع ابنه إبراهيم إلى زوجة أبي سيف^(٢) قين^(٣) المدينة كي ترضعه، فكان صلى الله عليه وسلم يأتي إلى منزل أبي سيف الحداد وهو ينفخ من كيره، وقد امتلأ البيت بالدخان^(٤).

(١) عن أنس رضي الله قال: إن خياطاً دعا النبي صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه، فذهبت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقرب خبز شعير، ومرقاً فيه دباء وقديد، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتبع الدباء من حوالي القصعة، فلم أزل أحب الدباء بعد يومئذ. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب المرق: ٢٠٧٢/٥، حديث رقم ٥١٢٠.

(٢) أبو سيف القين - بفتح القاف وسكون المثناة التحتانية بعدها نون، وهو الحداد كان من الأنصار، وهو زوج أم سيف مرضعة إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم. ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ومعه الاستيعاب لابن عبد البر: ٩٩/٤.

(٣) القين: هو الحداد.

(٤) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم" ثم دفعه إلى أم سيف امرأة قين، يقال له أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته فانتبهنا إلى أبي سيف، وهو ينفخ بكيره، قد امتلأ البيت دخاناً، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا أبا سيف أمسك جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمسك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه إليه، وقال: "ما شاء الله أن يقول" فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمخزونون". أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب رحمة صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك،

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعمل بيده الشريفة مع أصحابه الكرام في بناء مسجده الشريف بالمدينة المنورة، حيث اشترك في بنائه كل من حضر البناء من المهاجرين والأنصار، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة واللبن ويناولها للبنائين من المهاجرين والأنصار، وهو يردد قائلاً:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة^(١)

وكان الأنصار والمهاجرون في نفس الوقت ينقلون الحجارة واللبن ويقول بعضهم لبعض استحثاثاً للهمم:

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل^(٢)

وكثير من ألقاب الناس مرتبطة بالمهن والحرف والصناعات التي كانوا يعملون بها. وفي منطقة الحجاز نجد بعض المهن اقتضرت على بعض المناطق دون غيرها، كالزرمي، فلا تجد مثل هذه الصنعة إلا في مكة المكرمة، ونائب الحرم، ومطوف، وهي ألقاب مرتبطة بمهن لا توجد إلا في مكة المكرمة، وكان أهل مكة على مدار تاريخهم أهل حرف وصناعات، فلا يكاد يرى فيهم عاطل لا عمل له ولا مهنة يكتسب منها قوته وقوت من يعول، وكثير من أسماء العائلات في منطقة الحجاز بالرغم من انتسابها إلى بعض المهن شأنها شأن أي منطقة أخرى إلا أنها اشتهرت دون غيرها، فكانوا ينسبون أو ينادون بأسماء

ج ٤ ص ٧٠.

(١) محمد بن عبد الله الزركشي. إعلام الساجد بأحكام المساجد؛ تحقيق: الشيخ أبي الوفا مصطفى المراغي، ط. بدون. - القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٢٣.

(٢) أبو محمد عبد الملك، ابن هشام. السيرة النبوية: تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. - ط ١. - الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٩٥.

كما تتنوع ألقاب وكنى كثير من العائلات في الحجاز حسب عدة اعتبارات منها ما يتبع المهنة أو أسماء المدن أو البلدان التي قدمت منها

ومن أهم الاعتبارات في لقب أو كنية العائلة: المدينة أو البلدة أو القرية، أو القبيلة، أو العشيرة التي جاء منها رب العائلة مثل الزهراني، والغامدي، والقربي، والبيشي، والجيزاني، وغير ذلك.

وجاءت بعض الألقاب والكنى من الصنعة والحرفة أو المهنة التي كان يعمل بها أجداد العائلة مثل الصباغ والنحاس والسروجي نسبة إلى صنع سرج الخيل والعطار بائع الأعشاب والبخور والنجار والقزاز والحلواني نسبة لصانع الحلويات والكعكي، والفران، والقطان، وجميع هذه العائلات لا ترتبط بالقربى إلا في تشابه العمل والمهنة فقط.

وارتبط اللقب أو الكنية بالنسبة لبعض العائلات بالوظيفة الدينية مثل: الإمام والخطيب والمؤذن والقاضي والمفتي والشيخ، ومن العائلات ما يعود لتسلم وظيفة إدارية عالية في الدولة مثل: وبيت المال، والبيك والباشا، والأفندي، والكاتب، والكتبخانه، والدفتردار، والخازندار، وأغلبها جاءت مع الحكم العثماني للمنطقة.

ومن يستعرض ألقاب بعض العائلات يجد أن منها ما يتعلق بالطعام أو المأكولات مثل: عدس وفوال.

ومنها: ألقاب مستمدة من البلدان التي قدم منها رب العائلة مثل: الحجازي، والنجدي، والحساوي، واليماني، والمغربي، والتونسي، والبغدادي، والمصري، والبنجابي، والسندي، والباكستاني،

والهندي، والبخاري، والترکستاني، والطشقندي، الداغستاني، والأفغاني، وغير ذلك.

وللحرف والمهن التي يمتثلها أهل المجان آداب مشتركة، ذكرها عبد الوهاب أبو سليمان، وهي:

- ١- تحسين النية بقضاء حاجات الناس، وإعانتهم عليها، وتيسير السبل للتوصل إليها.
- ٢- الابتعاد عن المغالاة في الأجور بطلب زيادة مبالغ فيها، فإنها من قبيل الظلم المحرم.
- ٣- التوقي من الحلف والأيمان لتروج البضاعة في سبيل إقناع صاحب الحاجة.
- ٤- الحذر من الفسق، والخداع في الصنعة، والبيع بكل صوره وأشكاله.
- ٥- الالتزام بالآداب الإسلامية، والحرص عليها في التعامل، وبخاصة السماح في البيع والشراء^(١).

(١) عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان. العلماء والأدباء والوزّاقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري. ط١-١. - الطائف: نادي الطائف الأدبي، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ٢٨.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإيمان، وأكرمنا بالإسلام، وجعلنا من أمة سيد الأنام سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتفضل علينا وجعلنا من أهل البلد الحرام.

وبفضله وإحسانه قد انتهيت من بحثي هذا "الألقاب والكنى وعلاقتها بالمهن والصناعات والحرف بغرب شبه الجزيرة العربية عبر العصور" الذي تعرضت فيه عن إيضاح مدى ارتباط مسميات وألقاب وكنى بعض الأسر الحجازية بالمهن والحرف التي كانت تقوم بها هذه الأسر، وكلنا نعرف تلك الأسر حق المعرفة، والكثير منهم في الوقت الحاضر يحمل اللقب فقط، ولكن لا يؤدي المهنة التي كانت سببا لتسمية آبائه، فتجد من هؤلاء الأستاذ الجامعي، والطبيب، المهندس، والمعلم، والضابط، والجندي، والتاجر، وغيرهم الكثير، وجميعهم يقوم بالخدمة في هذا الوطن المعطاء بكل سعة ورحب، والكثير منهم يفخر بأن أجداده كانوا يقومون بتلك المهن، إيماناً منهم بأن الإسلام حثنا على العمل وعدم التواكل، فإذا عزف الناس عن امتهان مهنة من المهن، ولم يوجد من يؤدي هذه المهنة في المجتمعات ترتبك الحياة، فالحياة لا بد لها من حرفيين وأصحاب مهن في كل ما يحتاجه البشر في مناحي حياتهم.

راجية من الله عز وجل أن يكون فيه ما يفيد، وأسأله جل شأنه أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا ممن ينتفع بما يقدم، وأن يهدينا سبل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على سيدنا ونبينا معمد أشرف خلق الله، وعلى آله وصحبه، ومن صار على هديه إلى يوم الدين.

وآخر دعواناً أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الأحكام في حقوق الإنسان في الإسلام لعبد العزيز محمد سندي. - ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ٣- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه لأبي عبد الله محمد بن إسحاق، ابن العباس الفاكهي: تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. - ط٤. - مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٤- الاستيعاب لابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي. - ط١. - بيروت: دار الجليل، ١٤١٢هـ.
- ٥- أسد الغابة لابن الأثير. - القاهرة: دار الشعب، ب.ت.
- ٦- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)؛ تحقيق علي محمد البجاوي. - ط١. - بيروت: دار الجليل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٧- إعلام الساجد بأحكام المساجد لمحمد بن عبد الله الزركشي؛ تحقيق أبي الوفا مصطفى المراغي، ط. بدون. - القاهرة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- ٨- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى: بإتمام الكلام لعبد الله بن محمد الغازي المكي الحنفي (ت ١٣٦٥هـ)؛ تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. - الرياض: مسودات نشر دار الملك عبد العزيز.

- ٩- الاقتصاد الإسلامي مذهباً ونظماً: دراسة مقارنة لإبراهيم الطحاوي.
- ١٠- الاقتصاد الإسلامي لمحمد عبد المنعم عفر. - ط ١. - جدة: دار البيان العربي، ١٩٨٥ م.
- ١١- الأنساب لعبد الكريم السمعاني: تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
- ١٢- البداية والنهاية لابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير لأبي الفداء (٧٧٤ هـ). - بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٦ م.
- ١٣- البركة في فضل السعي والحركة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر الوصافي الحبشي (ت ٧٨٢ هـ). - القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٥٤ هـ.
- ١٤- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى بن محمد الواسطي الزبيدي؛ تحقيق إبراهيم التريز. - بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ١٥- تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري): الطبري، محمد بن جرير (٣١٠ هـ). - بيروت: دار القاموس الحديث للطباعة، ب. ت.
- ١٦- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمحمد طاهر الكردي (١٤٠٠ هـ). - ط ١، ١٣٨٥ هـ.
- ١٧- تحفة الأحباب في بيان اتصال الأنساب - مخطوط، توجد مصورته بمكتبة الشيخ عبد الملك بن دهيش.
- ١٨- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لعبد الرحمن المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)؛ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف؛ نشر محمد عبد المحسن الكتبي، ب. ط، ب. ت.

- ١٩- تلبیس إبلیس لعبد الرحمن جمال الدین أبی الفرج ابن الجوزی. - القاصرة: إدارة الطباعة المنيرية- مكتبة الدعوة الإسلامية، ب.ت.
- ٢٠- تهذيب الكمال: للمزي، يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف (٧٤٢هـ)؛ تحقيق بشار عواد معروف. - ط ١. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- ٢١- الجامع الصحيح - سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩هـ)؛ تحقيق أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم بن عروة. - ط ٢. - القاهرة: مكتبة مصطفى الحلبي، ١٣٩٨هـ.
- ٢٢- الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم: عبد العزيز بن إبراهيم العمري. - ط ٣. - الرياض: دار إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- ٢٣- الحرم المكي الشريف والأعلام المحيطة به : دراسة تاريخية وميدانية لعبد الملك بن عبد الله بن دهيش. - مكة المكرمة، ١٤١٥هـ.
- ٢٤- الحلال والحرام في الإسلام ليوسف القرضاوي. - ط ٢. - دمشق: المكتب الإسلامي، ١٣٨٢هـ.
- ٢٥- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي؛ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد. - بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٦- سنن الدارقطني للدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ). - باكستان: نشر حديث أكاديمي.
- ٢٧- سنن الدارمي للدارمي، عبد الله بن بھرامر (٢٥٥هـ). - بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٢٨- سنن أبي داود لأبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق؛ مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد. -

- ٢٩- سنن سعيد بن منصور لسعيد بن منصور (٢٧٧هـ)؛ تحقيق سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد -.
ط ١- الرياض: دار الأضاعي، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٣٠- السنن الكبرى لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي (٤٥٨هـ) - ط ١- الهند: مجلس دائرة المعارف
العثمانية، ١٣٤٧هـ.
- ٣١- سنن النسائي لأحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ): عناية عبد الفتاح أبو غدة. - حلب: مكتب
المطبوعات الإسلامية، ١٠٤٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٣٢- سنن ابن ماجه لابن ماجه: معمد بن يزيد القزويني (٢٧٥هـ)؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. - بيروت:
دار الفكر، ب.ت.
- ٣٣- سير أعلام النبلاء للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط. -
ط ١- مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٣٤- السيرة النبوية لأبي محمد عبد الملك، ابن هشام: تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. -
ط ١- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- ٣٥- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المكي. - بيروت: دار الكتب
العلمية، ب.ت.
- ٣٦- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري؛ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. -
ط ٢- بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٢هـ.

- ٣٧- صحيح البخاري للبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)؛ تحقيق مصطفى ديب البغا. - ط٤. - دمشق: دار ابن كثير، ١٤١٠هـ.
- ٣٨- صحيح ابن حبان لابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد ابن أبي حاتم التيمي، ابن حبان (٣٥٤هـ)؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط. - ط٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ.
- ٣٩- صحيح ابن خزيمة لابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١هـ)؛ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي؛ نشر المكتب الإسلامي ب. ط، ب. ت.
- ٤٠- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)؛ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. - ط١. - القاهرة: مصطفى البابي، ١٣٧٤هـ.
- ٤١- صور من تراث مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري لعبد الله محمد أبكر. - ط١. - بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م.
- ٤٢- الطبقات الكبرى للزهري، محمد بن سعد بن منيع (٢٣٠هـ). - دار بيروت للطباعة والنشر ب. ط، ب. ت.
- ٤٣- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الأول المسمى ب (المقدمة) لعبد الرحمن بن خلدون المغربي. - ط٢. - بيروت: مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٦١م.
- ٤٤- العلماء والأدباء والوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري لعبد الوهاب بن إبراهيم أبو

- ٤٥ - العمل والعمال والمهن في الإسلام لزيدان عبد الباقي. - - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٧م.
- ٤٦ - غياث الأمم في التياث الظلم لعبد الملك بن عبد الله أبي المعالي الجويني، إمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ): تحقيق عبد العظيم الديب. - ط ١. - الدوحة: كلية الشريعة - جامعة قطر، ١٤٠٠هـ.
- ٤٧ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)؛ تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وأحمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب. - القاهرة: المكتبة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٠هـ.
- ٤٨ - القاموس المحيط للفيروز أبادي، محمد بن يعقوب الشيرازي. - بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ / ١٤١٥م.
- ٤٩ - الاكتساب في الرزق المستطاب لمحمد بن الحسن الشيباني؛ تحقيق محمود عرنوس. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م.
- ٥٠ - لسان العرب لابن منظور. محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (٧١١هـ). - بيروت: دار صادر، ب.ت.
- ٥١ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي وابنه محمد، طبع على نفقة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.
- ٥٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، علي بن الحسين. - بيروت: دار الأندلس.
- ٥٣ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم، محمد بن عبد الله الحاکم النيسابوري (١٤٥هـ)؛ تحقيق مصطفى

عبد القادر عطا. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

- ٥٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل (٢٤١هـ). - القاهرة: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.
- ٥٥- مسند الشهاب للقاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي؛ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. - ط ١. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ٥٦- مسند أبي يعلى لأحمد بن علي بن المثنى أبي يعلى الموصلية (٣٠٧هـ). - ط ١. - دمشق: داو المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ.
- ٥٧- المصنف في الأحاديث والآثار لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)؛ ضبط محمد عبد السلام شاهين. - ط ١. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- ٥٨- المصنف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)؛ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. - ٢. - المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٥٩- المعجم الأوسط للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)؛ تحقيق محمود الطحان. - ط ١. - الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٦٠- المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب (٣٦٠هـ)؛ تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. - ط ١. - بغداد: الدار العربية للطباعة، ١٩٨٦م.
- ٦١- مقومات العمل في الإسلام لعبد السميع المصري. - ط ١. - القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٢هـ.
- ٦٢- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة لمحمد علي مغربي. - ط ٢. - جدة: دار

٦٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، عبد الرحمن (٥٩٧هـ). - ط ١. - حيدر أباد، الدكن: مكتبة

المعارف العثمانية، ١٣٥٧ هـ.

٦٤- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير أبي السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ)؛ تحقيق طاهر أحمد

الزاوي ومحمود محمد الطناحي. - المكتبة الإسلامية، ب.ت.

٦٥- كتاب الورع لعبد الله بن محمد أبي بكر القرشي البغدادي؛ تحقيق محمد بن حمد الحمود. - ط ١. -

الكويت: الدار السلفية، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.